

يا عمال العالم، اتحدوا!

طريق البلشفية



سؤالين

حول الصين

الاجتماع العام المشترك بين اللجنة المركزية والهيئة المركزية للرقابة
تحت عنوان : «الوضع العالمي والدفاع عن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية»
جلسة 7 آب 1927

ترجمة

محمد علي العربي

نشر البلشفاي العربي

نوفمبر، آذار 2012

المصدر المعتمد في الترجمة:

ABOUT CHINA

*Speech delivered on august 7, in the joint Plenum of the Central Committee
and Central Commission Control of the C.P.S.U.(B.)*

July 29-August 9, 1927

J. Stalin: Works Vol. 10, p 10-39
Foreign Languages Publishing House
Moscow, 1954

الصّين

لننتقل إلى قضية الصّين.

سوف لن أتوسّع في ما اتصل بطابع الثّورة الصّينيّة وآفاقها من أخطاء المعارضة. ولن أقوم بذلك أبدا. فقد تحدّثنا في ذلك بما فيه الكفاية وعلى نحو مقنع بما فيه الكفاية ولا جدوى من تكرار ذلك هنا. وسوف لن أتوسّع أيضا هنا في القول الذي مفاده أنّ الثّورة الصّينيّة في طورها الحالي هي ثورة في سبيل الاستقلال الجمركي (تروتسكي). ومن غير المجدي أيضا أن أتوسّع في الفكرة التي مفادها أنّه لا توجد في الصّين، على ما يبدو، بقايا إقطاعية وحتى إن وجدت فليس لها أهمية جدّية تذكر (تروتسكي، راديك) ممّا يجعل الثّورة الزراعيّة في الصّين غير مفهومة تماما. إنّ اطلاعكم على صحافة حزينا، قد يكون جعلكم تقفون على هذه الأخطاء وأخرى شبيهة بها ارتكبتها المعارضة في القضيّة الصّينيّة.

فلنمرّ إلى القضيّة المتعلّقة بالتقاط الأساسيّة التي تنطلق منها اللينينيّة لتحلّ قضايا الثّورة في البلدان المستعمرة والتابعة.

ما هي نقطة البدء التي تتخذها الأميّة الشيوعيّة والأحزاب الشيوعيّة عندما تتناول قضايا الحركة الثّوريّة في البلدان المستعمرة والتابعة بصورة عامّة؟

إنّها تميّز الثّورة في البلدان الإمبرياليّة التي تضطهدُ الشعوب الأخرى عن الثّورة في البلدان المستعمرة والتابعة التي تترجح تحت نير إمبريالي من جانب الدّول الأخرى تمييزا قويا. فالثّورة في البلدان الإمبرياليّة شأنٌ؛ فهناك تضطهدُ البرجوازيّة الشعوب الأخرى وهي هناك رجعيّة في جميع مراحل الثّورة وهناك ينهني العنصر القومي من حمّة أنّه عنصر تحرّر. والثّورة في البلدان المستعمرة والتابعة شأنٌ آخر؛ فبئر إمبرياليّة الدّول الأخرى هنا هو أحد عوامل الثّورة، فهذا البئر لا يمكن أن يستثني مدّة البرجوازيّة الوطنيّة. فهذه الأخيرة يمكنها أن تساند الحركة الثّوريّة في بلادها

ضدّ الإمبريالية في مرحلة معيّنة زمنًا معيّنًا. فالعصر القومي هو عامل ثورة من جهة أنّه عنصر نضال تحرّر.

ومن لم يفهم هذا الفرق ومائل الثورة في البلدان الإمبريالية بالثورة في البلدان المستعمرة والتابعة إنّما هو خرج من طريق الماركسيّة ومن طريق اللينينية وسلك طريق أنصار الأممية الثانية.

إليكم ما قاله لينين في هذا الموضوع في تقريره «في القضيتين القومية والاستعمارية» أمام المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني:

﴿ما هي الفكرة الأكثر أهمية، الفكرة الأساسية في أطروحاتنا؟ إنّها تمييز الشعوب المضطّدة عن الشعوب المضطّدة. ونحن نؤكّد على هذا التمييز خلافاً لما تقوم به الأممية الثانية والديمقراطية البرجوازية (إشارة التأكيد لستالين)﴾¹

خطأ المعارضة الرئيسي أنّها لا تفهم هذا الفرق بين أنواع الثورات ولا تعترف به. خطأ المعارضة الرئيسي أنّها تماثل ثورة 1905 في روسيا البلد الإمبريالي الذي يضطّده الشعوب الأخرى بالثورة في الصين البلد المضطّده وشبه المستعمر المضطّر للنضال ضدّ النير الإمبريالي الذي تسلّطه عليه التول الأخرى. فعندنا في روسيا في عام 1905 سارت الثورة ضدّ البرجوازية الليبرالية رغم أنّ الثورة كانت ديمقراطية برجوازية. لماذا؟ لأنّ البرجوازية الليبرالية في بلد إمبريالي لا يمكنها أن لا تكون معادية للثورة. ولهذا السبب على وجه التحديد لم يتعلّق الأمر عند

¹ لينين: الأعمال الكاملة، مجلّد 25، ص 351، الطبعة الروسية الثالثة، دار التقدّم، موسكو.

البلاشفة بقضية تكتلات أو اتفاقات مؤقتة مع البرجوازية الليبرالية. وتنطلق المعارضة من ذلك لترغم أن علينا القيام بنفس الأمر في الصين في جميع مراحل الحركة الثورية، فلا نقبل اتفاقات أو تكتلات مؤقتة مع البرجوازية الوطنية في الصين مهما كانت الظروف. لكن المعارضة تنسى أنه لا يتحدث على هذا النحو إلا من كان لا يعرف الفرق بين الثورة في البلدان المضطهدة والثورة في البلدان المضطهدة ولا يريد الاعتراف بذلك الفرق؛ وأنه لا يتحدث على هذا النحو إلا من قاطع اللينينية وانزلق نحو أنصار الأمية الثانية.

إليك ما قاله لينين في ما اتصل بقبول الاتفاقات والتكتلات المؤقتة مع حركات التحرر البرجوازية في البلدان المستعمرة:

﴿يجب على الأمية الشيوعية أن تسير في تحالف مؤقت مع الديمقراطية البرجوازية في البلدان المستعمرة والمتأخرة لكن دون أن تندمج فيها وأن تحافظ مطلقاً على استقلال الحركة العمالية حتى لو كانت في شكلها الأكثر جنينية.﴾²

﴿فبصفتنا شيوعيين يجب علينا أن نساند (ونحن نقوم بذلك) حركات التحرر البرجوازية في البلدان المستعمرة إذا ما كانت تلك الحركات ثورية حقاً ولا يمنعنا ممثلوها من تربية وتنظيم الفلاحين وجاهير المستغلين الهائلة بروح ثورية.﴾³

² لينين: الأعمال الكاملة، المجلد 25، ص 290، الطبعة الروسية الثالثة، دار التقدم، موسكو.

³ لينين: الأعمال الكاملة، المجلد 25، ص 353، الطبعة الروسية الثالثة، دار التقدم، موسكو.

كيف «حدث» أن اعترف لينين بقبول تلك الاتفاقات والتكتلات مع البرجوازية في الصين وهو الذي كان يجارب تلك الاتفاقات في روسيا؟ أكان لينين مخطأ؟ أكان انتقل من التكتيك الثوري إلى التكتيك الانتهازي. لا، فذلك بديهي. لقد «حدث» ذلك لأن لينين كان يفهم الفرق بين الثورة في بلد مضطهد والثورة في بلد مضطهد. لقد «حدث» ذلك لأن لينين كان يفهم أن البرجوازية الوطنية في البلدان المستعمرة يمكنها أن تساند الحركة الثورية في بلادها ضد إمبريالية الخارج في مرحلة معينة من تطور تلك الحركة الثورية. وذلك ما لا تريد المعارضة أن تفهمه. لكنها لا تريد أن تفهمه لأنها تقاطع تكتيك لينين الثوري، لأنها تقاطع التكتيك الثوري اللينيني.

هل لاحظتم كيف تفادى زعماء المعارضة بعناية في خطاباتهم أن يتحدثوا في تعاليم لينين التي ذكرنا خوفاً من تناولها رغم أن الرفيق بوخارين قد واجههم بقضية تعاليم لينين تلك في تقريره؟ لماذا إذن تفادوا هذه التعاليم التكتيكية التي يعرفها الجميع وقدما لينين للبلدان المستعمرة والتابعة؟ لماذا يخافون تلك التعاليم؟ لأنهم يخافون الحقيقة. لأن تعاليم لينين التكتيكية تطيح بكامل التوجه المذهبي والسياسي عند التروتسكية فيما اتصل بقضايا الثورة الصينية.

فيما اتصل بمراحل الثورة الصينية. لقد ارتبكت المعارضة حتى أنها تنكر الآن وجود أيّ كان من المراحل في تطور الثورة الصينية. لكن هل من الممكن أن تقوم ثورات دون أن تمرّ ببعض المراحل خلال تطورها؟ ألم يكن في تطور ثورتنا مراحل؟ خذوا «أطروحات نيسان» التي صاغها لينين وستجدون أنه يقترن مرحلتين في ثورتنا: المرحلة الأولى هي الثورة الديمقراطية البرجوازية ومحورها الرئيسي الحركة الزراعية؛ والمرحلة الثانية هي ثورة أكتوبر ومحورها الرئيسي هو استلام الطبقة العمالية السلطة. ما هي مراحل الثورة الصينية؟ أعتقد أن يجب أن تكون ثلاث: المرحلة الأولى هي ثورة الجبهة الوطنية العامة المتحدة، إنها فترة كانتون لما كانت الثورة توجه ضرباتها الرئيسية ضد الإمبريالية الأجنبية، ولما كانت البرجوازية الوطنية لا تزال تساند الحركة الثورية. والثورة الصينية حالياً في ثاني مراحل

تطوّرها، وكان ذلك مع ظهور الجيوش الوطنيّة على نهر يانغ-تسي وهو الوقت الذي انسحبت فيه البرجوازية الوطنيّة من الثّورة وتطوّرت فيه الحركة الزراعيّة إلى ثورة عارمة يخوضها عشرات الملايين من الفلّاحين؛ والمرحلة الثالثة هي الثّورة السّوفييتيّة، إنّها لم تقم بعدُ لكنّها قادمة. ومن لم يفهم أن لا وجود لثورات دون بعض المراحل في تطوّرها ومن لم يفهم أنّ الثّورة الصّينيّة تنطوي على ثلاث مراحل إنّما هو لم يفهم شيئًا من الماركسيّة والقضيّة الصّينيّة.

ما هو الطابع الذي ميّز أولى مراحل الثّورة الصّينيّة؟

إنّ الطابع الذي ميّز أولى مراحل الثّورة الصّينيّة هو أنّها كانت، في المقام الأوّل، ثورة الجبهة الوطنيّة العامّة المتّحدة؛ وكانت، في المقام الثّاني، موجّهة أساسًا ضدّ الإضطهاد الإمبريالي الخارجي (إضراب هون-كونغ،...). هل كانت كانتون وقتئذٍ مركز وساحة سلاح الحركة الثّوريّة في الصّين؟ نعم. لا جدال في ذلك. فلا ينكر ذلك الآن إلّا أعمى.

هل صحيح أنّ أولى مراحل الثّورة المعادية للإمبرياليّة يجب أن يكون لها هذا الطابع على جبهة التّحديد؟ أرى أنّ ذلك صحيح. لقد تناول مؤتمر الأُمّية الشّيعوية الثّاني الثّورة في الهند والصّين في «الأطروحات الإضافيّة» حيث يقول في ما اتّصل بهذه البلدان:

﴿تعرقل السّيطرة الأجنبيّة، على الدّوام، تطوّر الحياة الاجتماعيّة، لذا
يجب أن تكون أولى خطوات الثّورة في المستعمرات الإطاحة بالرّأسماليّة
الأجنبيّة.﴾⁴

إنّ الطابع الّذي يميّز الثّورة الصّينيّة هو أنّها اجتازت هذه «الخطوة الأولى» أي
المرحلة الأولى من تطوّرها، أنّها اجتازت فترة ثورة الجبهة الوطنيّة العامّة المتّحدة
وتدخل ثاني مراحل تطوّرها أي فترة الثّورة الرّاعيّة.
إنّ الطابع الّذي ميّز الثّورة التركيّة (الكماليون) على سبيل المثال هو عكس ذلك،
فقد تعرّثت في أولى مراحل تطوّرها، أي في مرحلة حركة التحرّر البرجوازي دون
حتى أن تحاول المرور إلى ثاني مراحل تطوّرها أي مرحلة الثّورة الرّاعيّة.
ماذا كان يمثّل الكيومينتانغ وحكومته في أولى مراحل الثّورة، في فترة كانتون؟ كان
يمثّل وقتئذٍ تكتل العمّال والفلاحين والمتنفّذين البرجوازيين والبرجوازيّة الوطنيّة. هل
كانت كانتون وقتئذٍ مركز الحركة الثّوريّة وساحة سلاح الثّورة؟ وهل كانت سياسة
مساندة كيومينتانغ كانتون من جهة أنّه حكومة نضال تحرّري ضدّ الإمبرياليّة سياسة
صحيحة؟ وهل كُنا على صواب عندما قدّمنا المساعدة لكانتون في الصّين وأنقرة في
تركيّا حين كانت كل من كانتون وأنقرة تخوضان التّضال ضدّ الإمبرياليّة؟ نعم. لقد
كُنا على صواب. كُنا على صواب وكُنا نسير وقتئذٍ على خطى لينين.
لكن كيف نفهم الجبهة المتّحدة مع البرجوازيّة الوطنيّة في أولى مراحل الثّورة المعاديّة
للإمبرياليّة؟ هل يعني ذلك أنّ على الشّيوعيّين أن لا يشدّدوا نضال العمّال

⁴ أنظر: محاضرات تقارير المؤتمر الشّيوعي العالمي الثّاني، ص 605.

والفلاحين ضدّ المالكين العقاريين والبرجوازية الوطنية؟ وهل يعني ذلك أنّ على الطبقة العمالية أن تضحي باستقلاليتها وإن كان ذلك في أضعف حدّ وإن كان ذلك للحظة واحدة؟ لا. فلا يمكن للجبهة المتّحدة أن يكون لها معنى ثورياً إلا إذا لم يمنح الحزب الشيوعي من أداء نشاطه السياسي والتنظيمي في كامل الحرية؛ وأن ينظّم الطبقة العمالية لتكون قوّة سياسية مستقلة؛ وأن يوجّه الفلاحين ضدّ المالكين العقاريين؛ وأن ينظّم ثورة العمّال والفلاحين علناً فينظّم على ذلك النحو ظروف هيمنة الطبقة العمالية. وأعتقد أنّ الرفيق بوخارين كان قد بيّن على نحو جيّد بالاعتدال على وثائق يعرفها الجميع كيف أنّ الأممية الشيوعية كانت قد أبلغت الحزب الشيوعي الصيني هذا التصرّو للجبهة المتّحدة على وجه التحديد.

لقد اعتمد هنا الرفيقان كامنيف وزينوفييف على مرجع واحد ووحيد ألا وهو تلغراف أرسل إلى شنغهاي في تشرين الأول 1926 مفاده أن لا يجب تشديد الحركة الزراعيّة الآن قبل كسب شنغهاي. أنا لا أقرّ بصواب هذا التلغراف. ولم أعتبر، ولا أعتبر، لجنتنا المركزيّة معصومة من الأخطاء. فمن الممكن أن تقع الأخطاء. وهذا التلغراف خطأ. ولكن، أولاً. ألغينا هذا التلغراف بأنفسنا في بحر بضعة أسابيع (في تشرين الثاني 1926)، دون أي إشارة من أي نوع من جهة المعارضة؛ وثانياً. لماذا صممت المعارضة عن هذا الموضوع إلى حدّ الآن؟ لماذا لم تتذكّر هذا التلغراف إلا بعد تسعة أشهر؛ ولماذا أخفت عن الحزب أنّنا ألغينا ذلك التلغراف منذ تسعة أشهر؟ ذلك إنّما هو افتراء القصد منه أن يذهب في اعتقاد المرء أنّ ذلك التلغراف يحدّد خطّ قيادتنا. والحقّ أنّه كان تلغرافاً منعزلاً ومنفرداً ولا يعبر عن خطّ الأممية الشيوعيّة وخطّ قيادتنا. لذلك فقد ألغته جملة من الوثائق التي تحدّد خطّ قيادتنا المميّز في بحر بضعة أسابيع.

واسمحوا لي أن أعتمد تلك الوثائق.

إليك على سبيل المثال مقتطفاً من القرار الذي صادق عليه الاجتماع السابع في تشرين الثاني 1926، أي بعد شهرين من تاريخ التلغراف المذكور آنفاً:

﴿إنّ الميزة الأصيلة في الوضع الحالي هو طابعه الانتقالي الذي يجعل الطبقة العمالية ملزمة بأن تختار إما أفق تكتل مع فئات هامة من البرجوازية، وإما أفق تقوية تحالفها مع الفلاحين لاحقاً. فإذا لم تصغ الطبقة العمالية برنامجاً زراعياً جذرياً فلن تستطيع جزّ الفلاحين إلى التضال الثوري، وستفقد هيبتها على حركة التحرر الوطني.﴾⁵

تمّ نقراً:

﴿لن يكون في استطاع الحكومة الوطنية في كانتون أن تحافظ على السّاطة في الثورة إن لم تحقّق انتصاراً تامّاً على الإمبريالية والرّجعية المحليّة وذلك طالما أنّ قضية التحرر الوطني لم تدمج بالثورة الزراعيّة﴾⁶

تلك وثيقة تحدّد خط قيادة الأميّة الشيوعيّة بحق. وإِنَّه لمن الغريب جدّاً أن يصمّت زعماء المعارضة عن وثيقة الأميّة الشيوعيّة هذه التي يعرفها الجميع. ربّما سأكون فضا إذا ما اعتمدت على خطابي الذي ألقيته أمام الجمعية الصّينية في الأميّة الشيوعيّة في تشرين الثاني من نفس العام 1926، وهي الجمعية التي صاغت، بمشاركة طبعاً، «القرار في الثورة الصّينية» الذي صادق عليه الاجتماع السابع الموسع، وكان قد نشر خطابي فيما بعد في كراس عنوانه «آفاق الثورة في الصين». إليكم بعضاً من ذلك الخطاب:

⁵ أنظر: قرار الاجتماع السابع للموسّع لتنفيذية الأميّة الشيوعيّة.

⁶ أنظر: قرار الاجتماع السابع لتنفيذية الأميّة الشيوعيّة.

﴿أعلم أنّ هناك من بين أعضاء الكيومينتانغ وحتى من بين الشيوعيين الصينيين من يعتقد أنّ من غير الممكن تأجيج الثورة في الريف، خوفاً من يكون في جزّ الفلاحين إلى الثورة قضاء على الجبهة المتحدة المعادية للإمبريالية. أيها الرفاق، ذلك خطأ جَدّ عميق. فالجبهة المعادية للإمبريالية في الصين ستكون أكثر قوّة وأكثر صلابة إذا ما دخل الفلاحون الصينيون الثورة في أسرع وقت وإلى أقصى حدّ.﴾⁷

ثمّ قرأ:

﴿أعلم أنّ هناك من بين الشيوعيين الصينيين رفاقاً يعتبرون إضرابات العمّال لتحسين وضعهم المادي والتشريعي أمراً غير مرغوب فيه ويصرفونهم عن الإضرابات. أيها الرفاق، ذلك خطأ كبير. وإنّ في ذلك استنقاص كبير من دور الطبقة العمّالية في الصين ومن أهمّيتها. ويجب أن يسجّل ذلك في الأطروحات على أنّه أمر مطلق السلبيّة. فسيكون خطأ كبيراً إذا لم يستغلّ الشيوعيون الصينيون الوضع الملائم الحالي ليساعدوا العمّال على تحسين وضعهم المادي والتشريعي ولو كان ذلك بطريق الإضرابات. وإلاّ فما فائدة الثورة في الصين.﴾⁸

⁷ ستالين: آفاق الثورة في الصين.

⁸ ستالين: آفاق الثورة في الصين.

واليك وثيقة ثلاثة صيغت في **كانون الأول** 1926، في وقت أمطرت فيه الأمية الشيوعية بوابل من الاتهامات مفادها أنّ توسّع نضال العمال أدّى إلى أزمة والبطالة وغلقت المناجم والمعامل:

﴿إنّ السياسة العامة التي تقوم على التراجع في المدن والتضييق على نضال العمال لتحسين وضعهم هي سياسة **خاطئة**. يجب تطوير التضال في الزيف. لكن من الضروري، في ذات الوقت، استغلال الوقت الملائم لتحسين وضع العمال المادي والتشريعي، جاهدين لإعطاء نضال العمال طابعا منظما بكل الوسائل، نابذين الإفراط والتسبب المبالغ فيه. يجب على الأخص الاهتمام بأن يكون التضال في المدن موجها ضدّ فئات البرجوازية الكبيرة، وقبل كل شيء ضدّ الإمبرياليين، حتى تحافظ البرجوازيين الصغيرة والمتوسطة، طالما أمكن ذلك، على تواجدتها في إطار الجبهة المتحدة ضدّ العدو المشترك. ونعتقد أنّ نظام غرف التفاهم والمحاكم التوفيقية وغيرها أمرا قويا شرط أن تقوم سياسة عمالية صحيحة في تلك المؤسسات. ونتمسك في ذات الوقت بضرورة أن نحذركم بأنّ المراسيم ضدّ حرية الإضراب والاجتماعات العمالية وغيرها غير مقبولة مطلقا. ونظرا لأهمية هذه القضية، أرسلوا إلينا الأخبار بانتظام.﴾

أمّا الوثيقة الرابعة فقد صيغت قبل انقلاب⁹ تشان كاي-تشاك بشهر ونصف الشهر:

⁹ تم انقلاب تشان كاي-تشاك في 12 نيسان عام 1927.

﴿من الضروري تقوية عمل خلايا الكيومينتانغ والخلايا الشيوعية في الجيش: إنشاؤها أينما انعدم وجودها، وأينما يمكن إنشاؤها. وإذا ما استحال إنشاؤها وجب تقوية العمل بشيوعيين متخفيين.﴾

من الضروري التوجّه نحو تسليح العمّال والفلاحين، وتحويل لجان الفلاحين المحلية أحمزة فعلية للسلطة لها دفاعها الذاتي المسلّح...

يجب على الحزب الشيوعي أن يتقوى دائماً وأينما كان على حاله تلك. فأن ينصرف إلى سياسة شبه عننية بمحض إرادته فذلك أمر غير مقبول. فلا يمكن أن يتقوى الحزب الشيوعي بكبح الحركة الجماهيرية، ولا يجب أن يقفاد الحزب الشيوعي بما لدى رجال يمين الكيومينتانغ من سياسة الحياة والرجعية. فلكي يفضح أولئك لزمّت تعبئة الجماهير حول الكيومينتانغ والحزب الشيوعي الصيني.

من الضروري أن نلفت انتباه كلّ المناضلين الأوفياء للثورة إلى أنّ الثورة الصينية تجتاز، في الساعة الزاهنة، فترة دقيقة بالنظر إلى تجمع القوى الطبقي وتمركز الجيوش الإمبريالية، ولا يمكن أن تكون للثورة انتصارات مقبلة إلا شرط التوجّه بإصرار نحو تطوير الحركة الجماهيرية. فإن لم ذلك كذلك ستكون الثورة مهدّدة بخطر كبير. لنا، فتطبيق التوجيهات إنّما هو ضروري الآن أكثر من أي وقت مضى.﴾

وقبل ذلك في نيسان 1926 أي قبل عام من انقلاب رجال يمين الكيومينتانغ وتشان كاي-تشاك كانت الأهمية الشيوعية قد حدّرت الحزب الشيوعي الصيني بأن أشارت إليه بأن «من الواجب توجيه الأمور نحو انسحاب رجال يمين الكيومينتانغ أو طردهم».

على ذلك التحو كانت الأهمية الشيوعية تتصوّر تكتيك الجبهة المتحدة ضدّ الإمبريالية في أولى مراحل الثورة المعادية للإمبريالية ولا تزال على ذلك التصوّر.

هل كانت المعارضة على علم بتلك الوثائق التوجيهية؟ من المؤكد أنّها كانت على علم. فلماذا إذن صمتت عن هذه الوثائق التوجيهية؟ لأنّها تبحث عن الخصومة لا عن الحقيقة.

ورغم ذلك فقد مضى وقت كان فيه زعماء المعارضة الحاليين ومن بينهم زينوفيف وكامينيف يفهمون بعض الشيء من اللينينية وكانوا يدافعون من جهة الأساس عن نفس السياسة في الحركة الثورية الصينية التي تنتهجها الأمانة الشيوعية، وهي سياسة رسمها لنا الرفيق لينين في أطروحاته. وأريد أن أتحدّث عن اجتماع تنفيذية الأمانة الشيوعية السادس الذي انعقد في شباط-آذار 1926، ففي ذلك الوقت كان زينوفيف رئيس الأمانة الشيوعية، وكان لا يزال حينها لينينياً ولم يتسنى له الوقت بعد لينتقل إلى معسكر تروتسكي. وأنا أتحدّث عن الاجتماع التام السادس في تنفيذية الأمانة الشيوعية لأنّه يوجد قرار في الثورة الصينية اتخذ ذلك الاجتماع السادس الموسّع وأقرّ بالإجماع في شباط-آذار 1926 وتضمّن تقييماً لأولى مراحل الثورة الصينية وكيوميتانغ كانتون وحكومة كانتون. وهو تقييم مائل تقريبا لذلك الذي قدّمته الأمانة الشيوعية والحزب الشيوعي في اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية، وتنكره المعارضة الآن. أتحدّث عن هذا القرار لأنّ الرفيق زينوفيف كان قد صوّت له ولأنّ ما من أحد في اللجنة المركزية كان قد قدّم اعتراضاً عليه بما في ذلك الرفيقتين تروتسكي وزينوفيف وزعماء المعارضة الآخرين.

اسمحوا لي أن أقدم بعض المقتطفات من ذلك القرار. وإليكم ما اتصل فيه بالكيوميتانغ:

﴿لقد خلقت الإضرابات السياسيّة التي شتها العمّال الصينيون في شنغهاي وهون كغ (من حزيران إلى أيلول 1925) انعطافاً في نضال التحرّر الذي يخوضه الشعب الصيني ضدّ الإمبرياليين الأجانب... لقد أعطى نشاط الطبقة العمّالية السياسي دفعا قويا للتطور اللائق وتقوية جميع المنظمات الديمقراطيّة الثوريّة في البلاد وفي مقدّمتها الحزب الشعبي الثوري

(الكيومينتانغ) والحكومة الثورية في كانتون. إنّ حزب الكيومينتانغ الذي تمارس نواته الأساسية عملها بالتحالف مع الشيوعيين الصينيين، يمثل التكتل الثوري من العمال والفلاحين والمثقفين والديمقراطية الحضرية، على أساس المصالح الطبقيّة المشتركة بين تلك الفئات من الشعب ضدّ الإمبرياليين الأجانب والنظام العسكري-الإقطاعي بأسره، في سبيل استقلال البلاد وفي سبيل سلطة ديمقراطية ثورية موحّدة.¹⁰

وهكذا كان الكيومينتانغ في كانتون على هيئة تحالف أربع طبقات. وكما ترون فذلك قريب من «المارتوفية» التي اهتم بها الرفيق زينوفيف وقتند لما كان رئيس الأمانة الشيوعيّة.

فيما اتّصل بحكومة الكيومينتانغ في كانتون:

«لقد نجحت الحكومة الثورية التي أنشأها حزب الكيومينتانغ في كانتون في أن تقيم صلات بأوسع جماهير العمّال والفلاحين والديمقراطية الحضرية، واعتمدت عليها لتحطّم العصابات المعادية للثورة التي يدعمها الإمبرياليون (وهي تحقق عملاً قوامه إنشاء ديمقراطية جذرية في كامل الحياة السياسيّة في مقاطعة كوانغ-تونغ. فالحكومة في كانتون يشنّد عودها من جهة أنّها طليعة نضال الشعب الصيني في سبيل استقلاله. وهي تصلح أن تكون نموذجا للبناء الديمقراطي الثوري اللاحق في البلاد.»¹¹

¹⁰ انظر: قرار الاجتماع السادس الموسع لتنفيذية الأمانة الشيوعيّة.

¹¹ انظر: قرار الاجتماع السادس الموسع لتنفيذية الأمانة الشيوعيّة.

حكومة الكيومينتانغ في كاتون التي تمثل أربع طبقات كانت حكومة ثورية، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت نموذجاً للحكومة الديمقراطية الثورية في الصين في المستقبل.

فيما اتصل بالجهة المتحدة من العمال والفلاحين والبرجوازية:

﴿يجب على الحزب الشيوعي والكيومينتانغ، لمواجهة المخاطر الجديدة، أن يقوموا بأوسع نشاط سياسي لتنظيم أنشطة الجماهير لمساندة كفاح الجيوش الشعبية مستغلين التناقضات في معسكر الإمبرياليين ومواجهين إياهم بالجهة الموحدة الثورية الوطنية من أوسع فئات السكان (من العمال والفلاحين والبرجوازية) تحت قيادة المنظمات الديمقراطية الثورية﴾¹²

وهكذا، في البلدان المستعمرة، فإن التكتلات والاتفاقات المؤقتة مع البرجوازية في مرحلة معينة من مراحل الثورة المعادية للإمبريالية إنما هي لا فقط مقبولة بل ضرورية مطلق الضرورة.

ألا يماثل هذا كثيرا ما كان في توجيهات لينين التي نعرفها في ما تعلق بتكنيك الشيوعيين في البلدان المستعمرة والتابعة. لكن ما يدعو للأسف أن الرفيق زينوفيف كان قد نسي ذلك. فيما تعلق بقضية الخروج من الكيومينتانغ:

﴿إن بعض فئات البرجوازية الكبيرة الصينية، التي التحقت طيلة مدة بالكيومينتانغ، قد غادرت العام الماضي؛ لقد نتج ذلك إثر تكون فرقة صغيرة

¹² انظر: قرار الاجتماع السادس الموسع لتنفيذية الأمانة الشيوعية.

على يمين الكيومينتانغ تعارض، على نحو مكشوف، التحالف المتين مع الجماهير العمالية وترمي إلى طرد الشيوعيين من الكيومينتانغ، وتعارض السياسة الثورية عند حكومة كاتون. ولقد كان المؤتمر الثاني للكيومينتانغ في كانون الثاني 1926 قد أدان سلوك ذلك الجناح اليميني وأشار إلى ضرورة تحالف فضالي بين الكيومينتانغ والشيوعيين لتقوية اتجاه نشاط الكيومينتانغ وحكومة كاتون ولضمان أن تقدم الطبقة العمالية سنداً ثورياً للكيومينتانغ¹³

إذن، فخروج الشيوعيين من الكيومينتانغ في أولى مراحل الثورة الصينية سيكون خطأً كبيراً. لكن ما يدعو للأسف أنّ الرفيق زينوفيف كان قد نسي هذا القرار الذي صوّت له منذ شهر. لأنّ زينوفيف كان قد طالب، في ما بعد، بخروج الشيوعيين الفوري من الكيومينتانغ في نيسان عام 1926 (أي في غضون شهر). فيما تتعلّق بالانحرافات في الحزب الشيوعي الصيني ورفض حرق مرحلة الكيومينتانغ من الثورة:

﴿يجب أن يتطور استقلال الشيوعيين الصينيين السياسي في التّصال ضدّ انحرافين خطيرين: ضدّ التّصفوية اليمينية التي أخفقت في تقدير المهمّات الطبقيّة المستقلّة للطبقة العماليّة وترمي إلى اندماج عديم الشّكل في مجمل الحركة الوطنيّة؛ وضدّ النزعة اليساريّة القصوى التي تظهر من خلال القفز فوق المرحلة الديمقراطيّة الثوريّة والانتقال مباشرة إلى مهمّات الدكتاتوريّة العماليّة والسّلطة السوفييتيّة، دون أن تأخذ في الحسبان

¹³ انظر: قرار الاجتماع السادس الموسع لتنفيذية الأمانة الشيوعية.

الفلاحين الذين هم العامل الأساسي والحاسم في حركة التحرر الوطني
الصينية.¹⁴

ذلك كلّ الأمر عسى أن تقتنع المعارضة الآن بأنّها كانت ترمي إلى حرق مرحلة الكيومينتانغ من مسار التطور في الصين، وإلى الانتقاص من أهمية الحركة الفلاحية، وإلى القيام بقفزة استباقية نحو السوفييتات. ذلك ما يعنيه هذا الحديث! هل يعرف الرفاق زينوفيف وكامينيف وتروتسكي هذا القرار؟ نعتقد أنّهم يعرفونه. وفي جميع الأحوال، لا يمكن للرفيق زينوفيف أن يكون على غير علم به، فقد قدّم هذا القرار إلى الاجتماع السادس لتنفيذية الأمانة الشيوعية تحت رئاسته، وصوّت هو نفسه لصالح ذلك القرار. إذن، لماذا يتحاشى زعماء المعارضة، الآن، هذا القرار الذي هو قرار أعلى هيئة في الحركة العمالية العالمية؟ إذن، لماذا يطبقون الصمت على هذا القرار؟ لأنّ هذا القرار يعارضهم في جميع قضايا الثورة الصينية، ولأنّه يطيح بكامل توجه المعارضة التروتسكي الحالي، ولأنّهم ابتعدوا عن الأمانة الشيوعية، ولأنّهم ابتعدوا عن اللينينية. وهم الآن، وخشية من ماضيهم، وخشية من ظلّهم، اضطروا إلى أن يتحاشوا قرار الاجتماع السادس الموسّع لتنفيذية الأمانة الشيوعية.

ذلك كلّ ما في أولى مراحل الثورة الصينية.
لنتنقل الآن إلى ثاني مراحل الثورة الصينية.

¹⁴ انظر: قرار الاجتماع السادس الموسّع لتنفيذية الأمانة الشيوعية.

فإذا كانت أولى مراحل الثورة الصينية تتميز بكون رأس حربة الثورة موجهة أساسا ضدّ الإمبريالية الأجنبية فإنّ السمة التي تميّز المرحلة الثانية هي أنّ الثورة توجّه رأس حربتها أساسا ضدّ الأعداء في الداخل، وقبل كلّ شيء، ضدّ الإقطاعيين والنظام الإقطاعي. هل أنجزت المرحلة الأولى مهمتها المتمثلة في الإطاحة بالإمبريالية الأجنبية؟ كلاً، لم تنجزها. لقد تركت إنجاز تلك المهمة إرثاً لثاني مراحل الثورة. فلم تقم إلا بتقديم الدفع الأولي للجماهير الثورية ضدّ الإمبريالية، لتنتهي مسارها، فيما بعد، وتضع ذلك العمل للمستقبل. ونعتقد أنّ ثاني مراحل الثورة سوف لن تنجح أيضاً في تحقيق كامل مهمتها المتمثلة في طرد الإمبرياليين. وإنّا نستطعي دفعا جديدا للجماهير العظيمة من العمال والفلاحين الصينيين ضدّ الإمبريالية، لكنّها تفعل ذلك لتوكل، فيما بعد، إتمام تلك المهمة إلى المرحلة المقبلة من الثورة الصينية: المرحلة السوفييتية. وليس في ذلك ما يبعث على الدهشة. ألا نعلم أنّ وقائع مائة كانت قد حصلت في تاريخ ثورتنا رغم أنّ ذلك كان في وضع وملابسات مغايرة؟ ألا نعلم أنّ أولى مراحل ثورتنا لم تنجز مهمتها إنجازا تاما المتمثلة في إتمام الثورة الزراعية، وأنها أوكلت إنجازها إلى المرحلة اللاحقة من الثورة: ثورة أكتوبر التي أنجزت على نحو تامّ المهمة المتمثلة في اقتلاع البقايا الإقطاعية من جذورها؟ كذلك لا يمكن أن يكون هنالك ما سيبعث على الدهشة إذا ما لم نستطع، في ثاني مراحل الثورة، أن ننجز الثورة الزراعية إنجازا تاما وأن توكل ثاني مراحل الثورة، بعد أن هتأت جماهير الفلاحين الغفيرة وبعد أن وجهتهم ضدّ البقايا الإقطاعية، إنجاز تلك المهمة إلى المرحلة اللاحقة من الثورة: المرحلة السوفييتية. ولن يكون ذلك إلا جيّدا للثورة السوفييتية المقبلة في الصين.

في ما كانت تقوم مهمّة الشيوعيين في ثاني مراحل الثورة في الصين وقد انتقل مركز الحركة الثورية من كانتون إلى وُو هان وقد برز مركز مضادّ للثورة في نانكين مواز للمركز الثوري في وُو هان؟ كانت تقوم هذه المهمة في استخدام أقصى، على نحو مكشوف، لتنظيم الحرب والطبقة العاملة (النقابات) والفلاحين (الاتحادات

الفلاحية) والثورة بصورة عامة. كانت تقوم هذه المهمة في دفع عناصر كيوميتانغ وُو هان نحو اليسار؛ نحو الثورة الزراعية. كانت تقوم هذه المهمة في جعل كيوميتانغ وُو هان مركزا للتصال ضدّ الثورة المضادة ونواة لدكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية المقبلة.

هل كانت هذه السياسة صحيحة؟ لقد بينت الأحداث أنّها السياسة الصحيحة الوحيدة القادرة على تهيئة الجماهير العظيمة من عمالا وفلاحين بروح تطوّر الثورة اللاحق.

لقد كانت المعارضة تطالب بتأليف سوفيينات نقاب العمال والفلاحين فوراً. لكنّ ذلك كان من باب المغامرة وسبق مغامر لأنّ تأليف السوفيينات فوراً كان يعني، وقتئذ، حرق مرحلة الكيوميتانغ اليساري من التطوّر.

لماذا؟ لأنّ الكيوميتانغ في وُو هان، الذي يحافظ على تحالفه مع الشيوعيين، لم ينكشف ولم ينكشف أمره بعدُ في عيون الجماهير العظيمة من العمال والفلاحين؛ لم يستنفذ بعدُ كلّ إمكانياته من جهة أنّه مننظمة ثورية برجوازية.

لأنّ صياغة شعار السوفيينات والإطاحة بحكومة وُو هان في وقت لم تقتنع فيه الجماهير بعدُ بعجز تلك الحكومة وبضرورة إطاحتها، إنّما ذلك استباق كبير وانفصال عن الجماهير وخسران سندها وإجحاض، على ذلك التحو، للعمل الذي كان قد بدأ. تعتقد المعارضة أنّه لمّا تفهم هي ما في كيوميتانغ وُو هان من عدم ثبات وهشاشة ونقص في الروح الثورية (وذلك أمر لا يصعب فهمه على كلّ مناضل سياسي كفء)، فإنّ كلّ ذلك كاف تمام الكفاية حتّى تكون تلك الأمور مفهومة أيضاً عند الجماهير؛ أنّ ذلك كاف تمام الكفاية حتّى نستبدل الكيوميتانغ بالسوفيينات ونجّر الجماهير ورائها. لكنّ ذلك هو خطأ اليساري الأقصى المعتاد عند المعارضة الذي يقدّم وعيه وفهمه الخاصين على أنّها الوعي والفهم الخاصين بملايين العمال والفلاحين. إنّ المعارضة على صواب عندما تقول أنّ على الحزب أن يسير إلى الأمام. فذلك مبدأ ماركسي عادي لا يمكن أن يقوم حزب شيوعي حقيقي من دونه. لكن ليس

ذلك إلا جزءاً من الحقيقة. أما الحقيقة كاملة فهي أن على الحزب لا أن يخطو إلى الأمام فحسب، بل عليه أيضاً أن يجرّ وراءه الجماهير الغفيرة. فأن نسير إلى الأمام دون أن نجرّ وراءنا الجماهير الغفيرة إنّما يعني ذلك، في الواقع، أن تتأخّر عن الحركة وأن نبقى في ذيلها. أن نسير إلى الأمام منفصلين عن المؤخّرة ودون أن نعرف كيف نجرّها وراءنا إنّما ذلك استباق كبير سيعرقل، لزمان معين، سير الحركة الجماهيرية إلى الأمام. والقيادة اللينينية تقوم في ما يلي: يجب على الطليعة أن تعرف كيف تجرّ وراءها المؤخّرة، يجب على الطليعة أن تسير إلى الأمام دون أن تنفصل عن الجماهير. ولكي لا تنفصل الطليعة عن الجماهير ولكي تستطيع الطليعة بالفعل جرّ الجماهير الغفيرة وراءها لزم ذلك شرط حاسم وضروري وهو أن تقتنع الجماهير نفسها، من خلال تجربتها الخاصّة، بصحّة تعاليم وتوجيهات وشعارات الطليعة. وتكمن تعاسة المعارضة، على وجه التّحديد، في أنّها لا تعترف بهذه القاعدة اللينينية البسيطة عندما لا تفهم أنّه عند قيادة الجماهير الغفيرة ليس في استطاع الحزب لوحده، مجموعة الطليعة لوحدها، أن ينجز الثّورة إذا لم تسانده الجماهير العظيمة؛ فالثّورة، في آخر الأمر، «تقوم بها» الجماهير الغفيرة من الشّغيلة.

لماذا لم نضع نحن البلاشفة، في نيسان 1917، شعاراً عملياً للإطاحة بالحكومة المؤقتة وإرساء سلطة السّوفييتات، رغم اقتناعنا بأننا سنكون في القريب العاجل أمام ضرورة الإطاحة بالحكومة المؤقتة وإرساء السّلطة السّوفييتية؟ لأنّ جماهير الشّغيلة العظيمة، في المؤخّرة كما في الجبهة والسّوفييتات نفسها لم تكن مستعدّة بعد لتقبّل مثل ذلك الشّعار؛ لأنّها كانت لا تزال بعدُ تعتقد في الرّوح الثّورية عند الحكومة

المؤقتة. لأنّ الحكومة المؤقتة لم تكن قد شرعت تعرقل بعد ولم تكن قد انكشفت مساندة الثورة المضادة في المؤخرة وفي الجبهة بعد. لماذا ندّد لينين، في نيسان 1917، بمجموعة باغداديايف التي صاغت شعار الإطاحة الفورية بالحكومة المؤقتة وتركيز سلطة السوفييتات؟ لأنّ محاولة باغداديايف كانت استباق خطير يهدّد الحزب البلشفي بالانفصال عن الملايين من العمال والفلاحين.¹⁵

روح المغامرة في السياسة والباغداديفيّة في قضايا الثورة الصينيّة ذلك ما يميّز معارضتنا التروتسكية اليوم.

يقول الرفيق زينوفيف أتي عندما أتحدّث عن الباغداديفيّة أكون قد ماثلت الثورة الصينيّة الحاليّة بثورة أكتوبر. من البديهي أن لا أساس لذلك. أولاً، لقد أكّدت بنفسني في مقالي «ملاحظات في مواضع راهنة» أن:

﴿من البديهي أنّ الماثلة هنا تقريبية. ولا أقبلها إلاّ بجميع التحفظات التي يفرضها الاختلاف بين الوضع الصيني اليوم وذاك الذي كان في روسيا عام 1917.﴾¹⁶

ثانياً، سيكون من العبث التأكيد على أنّنا على نستطيع القيام بماثلة بالثورات في البلدان الأخرى لتحديد تيار معين أو أخطاء معينة في الثورة في البلدان المعنية. ألا تخضع ثورة بلد لمدرسة ثورات البلدان الأخرى حتّى وإن لم تكن تلك الثورات من نفس النوع؟ إذن، فيما يختصر علم الثورة؟ من حيث الأساس، ينفي زينوفيف

¹⁵ انظر: لينين، الأعمال الكاملة، مجلّد 24، ص 210-212، الطبعة الإنجليزيّة الثانية، 1974، دار التقدم موسكو.

¹⁶ ستالين: ملاحظات في مواضع راهنة.

إمكانية قيام علم الثورة. ألم يتهم لينين، في الفترة السابقة لثورة أكتوبر، تشخيذه وتسيريتيلي وستيكوف والآخرين بأنهم قد أصيبوا بـ«لويلائية»¹⁷ ثورة 1848 الفرنسية؟ انظروا في مقال لينين «اللويلائية»¹⁸ فتجدوا أنّ لينين يستعمل كثيرا المماثلة بثورة 1848 الفرنسية ليحدد أخطاء بعض أخطاء المناضلين قبل أكتوبر رغم أنّ لينين كان يعلم جيدا أنّ ثورة 1848 الفرنسية وثورتنا في أكتوبر ليستا من ذات النوع. وإذا ما كان بالإمكان أن نتحدث عن «لويلائية» تشخيذه وتسيريتيلي في الفترة السابقة لثورة أكتوبر فلم لا يمكننا أن نتحدث عن «باغداديقية» زينوفيف وتروتسكي في فترة الثورة الزراعية في الصين؟

تؤكد المعارضة أنّ ووهان لم تكن مركز الحركة الثورية. لكن لماذا، إذن، كان الرفيق زينوفيف قد أعلن أنّ «من الضروري مساعدة» كيومينتانغ ووهان «بجميع الوسائل» حتى نجعل منه مركزا للتضال ضد الكافينياكين¹⁹ الصينيين؟ لماذا أصبحت أراضي ووهان دون غيرها مركزا لأقصى تطوّر في الحركة الزراعية؟ ألم تكن أراضي ووهان (هوانان، هوباي)، في مطلع هذا العام، مركزا لأقصى تطوّر في الحركة الزراعية؟ لماذا يمكن نعت كاتنون بأنها «ساحة سلاح الثورة» (تروتسكي) وهي التي لم تكن فيها حركة زراعية جماهيرية، في حين لا نعت ووهان

¹⁷ لويلائية: نسبة إلى لويس بلان. المترجم

يعتقد البلاكيون أنّ «خلاص البشرية من عبودية العمل المأجور عن طريق مؤامرة تعدها أقلية صغيرة من المثقفين، لا عن طريق نضال طبقي تخوضه الطبقة العاملة». لينين - المترجم.

¹⁸ لينين: «اللويلائية»، المختارات في 10 مجلدات، المجلد 6، ص 339-343، الطبعة العربية، 1977، دار التقدم، موسكو.

¹⁹ كافينياكون: نسبة إلى لويس أوجين كافينياك (1802-1857) وهو جنرال وسياسي رجعي فرنسي. وقف على رأس دكتاتورية عسكرية في حزيران 1848 لقمع انتفاضة العمال في باريس قمعاً لم يسبق له مثيل.

هان بأنها «ساحة سلاح» الحركة الثورية هي التي انطلقت من أراضيها الثورة الزراعية وتطورت؟ إذن، كيف نفسر أن المعارضة طالبت بإبقاء الحزب الشيوعي في كيومينتانغ وُو هان وفي حكومة وُو هان؟ أكانت المعارضة، في نيسان 1927 إلى جانب التكتل مع كيومينتانغ وُو هان «المضاد للثورة»؟ فمن أين أتى هذا «العفو» وهذا الاضطراب عند المعارضة؟

لقد سعدت المعارضة ببحث بأن كان التكتل مع كيومينتانغ وُو هان قصير المدة، وزعمت أن الأمية الشيوعية لم تنبه الشيوعيين الصينيين إلى إمكانية فشل كيومينتانغ وُو هان. ولا حاجة لنا لنؤكد أن السعادة الخبيثة عند المعارضة تشهد ببساطة على إفلاسها السياسي. فالمعارضة تعتقد، على ما يبدو، أن التكتل مع البرجوازية الوطنية في البلدان المستعمرة يجب أن يكون طويل المدة. لكن لا يمكن أن يفكر على هذا النحو إلا أشخاص فقدوا آخر بقايا اللينينية. فإذا كان قد ظهر أن الإقطاعيين والإمبرياليين في الصين، في الطور الحالي، أقوى من الثورة، وإذا كان القمع الذي مارسه تلك القوى المعادية قد أدى إلى انعطاف كيومينتانغ وُو هان نحو اليمين وإلى هزيمة الثورة الصينية هزيمة مؤقتة، فلا يمكن أن يسعد بذلك إلا أشخاص أصيبوا بالانهزامية. وفي ما يتعلق بإعلان المعارضة الذي مفاده أن الأمية الشيوعية لم تنبه الحزب الشيوعي الصيني إلى إمكانية فشل كيومينتانغ وُو هان، فإن ذلك علكة معتادة تملأ بها المعارضة فيها.

اسمحو لي أن أذكر بعض الوثائق لاكتشف أكاذيب المعارضة.

تعود الوثيقة الأولى إلى شهر أيار عام 1927:

﴿الآن، الجوهر في سياسة الكيامينتانغ الداخلية هو تطوير الثورة الزراعية في جميع الأقاليم بانتظام، بما فيها وبوجه خاص في كوانغ-توانغ، تحت شعار «كل السلطة لاتحادات ولجان الفلاحين في الريف». هنا أساس نجاحات الثورة والكيومينتانغ. هنا الأساس الذي يمكن، في الصين، من خلق جيش سياسي وعسكري واسع وقوي ضد الإمبريالية وأعوانها.

عمليتا، شعار حزم الأراضي مناسب إلى أقصى حدّ في الأقاليم ذات الحركة
الزراعية الكبيرة مثل هوانان وكوانغتونغ، الخ. وتستحيل الثورة الزراعية
من دون ذلك.

يجب، منذ الآن، الشروع في تنظيم ثمان أو تسع كتائب مؤلفة من فلاحين
وعمالا ثوريين لها قيادة فيها ثقة مطلقة تكون بمثابة حرس ووهان في الجبهة
وفي المؤخرة لتتزع سلاح الوحدات التي تضعف الثقة فيها. ولا يجب تأخير
في ذلك.

يجب تقوية العمل في المؤخرة وفي وحدات تشان كاي-تشيك حتى تفكك
وتتوجه إلى مساندة الفلاحين المنتفضين في كوانغتونغ أين سلطة المالكين
العقاريين لا تحتمل على نحو خاص.﴿

تعود الوثيقة الثانية إلى شهر أيار 1927:

﴿يستحيل التصر دون ثورة زراعية. فمن دونها ستمصبح لجنة الكيومينتانغ
المركزية دمية تعيسة في أيدي جنرالات لا ثقة فيهم. ويجب محاربة الإفراط
لا بالجيش بل بواسطة اتّحادات الفلاحين. نحن وبحسب، مع أن تنتزع
القاعدة الأرض بالفعل. إنّ تقديرات رحلة تانغ بينغ-سيان²⁰ لها بعض

²⁰ تانغ بينغ-سيان: كان عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني. ومثل لجنة الحرب المركزية في الأمانة الشيوعية مدة معينة. في عام 1927 كان وزير الفلاحة في حكومة ووهان. وعرقل الثورة الزراعية في الصين بجميع الوسائل. وطرده من الحرب فيها بعد وانتقل إلى معسكر الثورة المضادة.

الأساس. فما يجب ليس الانفصال عن حركة العمال والفلاحين بل المساهمة فيها بكل الوسائل، وإلا ستخسرون كل شيء.

بعض القادة القدامى من لجنة الكيومينتانغ المركزية خائفون من الأحداث ومرتدّون ويسامون. يجب جذب أكثر ما يمكن من الرّعاء الجدد من الفلاحين والعمال القاعديين إلى لجنة الكيومينتانغ المركزيّة. فأصواتهم الصّلبة ستجعل القدامى إمّا حاسمين وإمّا جيفة. يجب تغيير تركيبة الكيومينتانغ الحاليّة. ومن الصّوروي مطلق الصّورة تغيير قبة الكيومينتانغ وإكمالها بزعماء جدد امثّلحونا في الثّورة الزراعيّة، ويجب توسيع محيطه بملايين المنخرطين في لجان العمال ولجان الفلاحين؛ وإلا سيكون الكيومينتانغ مهدّداً بالانفصال عن الحياة ويفقد كلّ سلطة.

يجب تصفية حالة التبعيّة لمن قلّت فيهم النّعمة من الجنرالات. عبثوا عشرين ألفاً من الشّيوعيّين، وأضيفوا خمسين ألفاً من العمال والفلاحين الثّوريّين من هونان وهوبي، وألّفوا بعض فرق مسلّحة جديدة، واستخدموا تلاميذ المدرسة العسكريّة، ونظّموا جيشكم الخاصّ الموثوق قبل قوات الأوان، وإلّا فما من ضمان من الفشل. إنّها مهمّة صعبة لكن ليس هنالك من طريق آخر.

نظّموا محكمة عسكريّة ثوريّة على رأسها أعضاء منبثقين من الكيومينتانغ ليسوا شيوعيين. وسلّطوا عقوبات على الضباط الذين يقيمون صلوات بتشاغ كاي تشيك أو يؤلّبون الجنود على الشعب؛ على العمال والفلاحين. ولا يجب الاقتصار على لفت انتباههم. فقد حان وقت الشّروع في التّحرّك. يجب معاقبة المارقين. فإن لم يتعلّم أعضاء الكيومينتانغ أن يصبحوا يعاقبة ثوريّين فسيهلكون هم والشعب والثّورة. ﴿﴾

ترون أنّ الأُمّية الشّيعيّة كانت قد افترضت الأحداث، وأتمّ كانت قد أشارت إلى الأخطار في الوقت المناسب، وكانت قد نهت الشّيعيين الصّينيين إلى انهيار كيومينتاغ وو هان إن لم يصبح أعضاء الكيومينتاغ يعاغبة ثوريين.

لقد قال الرّفيق كامينيف أنّه إذا ما كانت الثّورة الصّينيّة قد انهزمت فإنّما يرجع ذلك إلى سياسة الأُمّية الشّيعيّة، وإلى أنّنا «كنا صنعنا كافينياكيين في الصّين».

أيّها الرّفاق، لا يجزأ على قول مثل هذا القول في حزيننا إلّا رجل مستعدّ لاقتراف جريمة في حقّ الحزب. وعلى هذا التّحوّك المناشفة قد تحدّثوا عن البلاشفة أثناء هزيمة تموز 1917، حين ظهر على السّاحة الرّوسيّة الكافينياكيون الرّوس. لقد كان لينين قد كتب في مقاله «في الشّعارات» أنّ هزيمة تموز 1917 كانت «انتصار الكافينياكيين». سخر المناشفة وقتئذ معلنين أنّه إن ظهر الكافينياكيون فإنّما ذلك بسبب سياسة لينين الخاطئة. فهل يعتقد الرّفيق كامينيف أنّه بسبب سياسة لينين، بسبب سياسة حزيننا، أن ظهر الكافينياكيون الرّوس أثناء هزيمة تموز 1917 ولم يكن ذلك بسبب أمر آخر؟ وهل يضع الرّفيق كامينيف نفسه هنا في موضع السّادة المناشفة؟ (ضحك). لم أكن لأعتقد أن يسقط رفاق المعارضة في هذا الحضيض... نحن نعلم أنّ ثورة 1905 كانت قد منيت بهزيمة أعمق من الهزيمة الحاليّة في الثّورة الصّينيّة. ويقول المناشفة أنّ هزيمة ثورة 1905 كانت بسبب تكتيك البلاشفة الثّوري الأقصى. أيفكّر الرّفيق كامينيف، هنا أيضا، في أن يتّخذ من تأويل المناشفة لتاريخ ثورتنا أمودجا فيرمي الكرة في مرمى البلاشفة؟ وكيف نفسّر هزيمة جمهوريّة البافيار السّوفييتيّة؟ ربّما بسياسة لينين وليس بميزان القوى الطبقي؟ وكيف نفسّر هزيمة الجمهوريّة السّوفييتيّة المجرية؟ ربّما بسياسة الأُمّية الشّيعيّة وليس بميزان القوى الطبقي؟ كيف يمكننا أن نوكّد أنّ بإمكان تكتيك حزب معيّن أن يقلب ميزان القوى الطبقي أو يغيّره؟ هل كان تكتيكنا عام 1905 صحيحا أم لا؟ إذن، لماذا منينا بالهزيمة؟ ألا تشهد الأحداث أنّ بسياسة المعارضة كان من الممكن أن تنتهي الثّورة في الصّين إلى الهزيمة بوتيرة أسرع ممّا حصل فعلا؟ كيف نصنّف

الأشخاص الذين ينسون ميزان القوى الطبقي أثناء الثورة ويسعون إلى حصر تفسير كل شيء بتكتيك حزب معين؟ لا يمكننا أن نقول عن مثل أولئك الأشخاص سوى أنهم قاطعوا الماركسية.

الخلاصة. أهم أخطاء المعارضة هي:

لا تفهم المعارضة لا طابع الثورة الصينية ولا آفاقها.

لا ترى المعارضة الفرق بين الثورة في الصين والثورة في روسيا؛ الفرق بين الثورة في البلدان المستعمرة والثورة في البلدان الإمبريالية.

تقاطع المعارضة تكتيك اللينينية في قضية الموقف من البرجوازية الوطنية في أولى مراحل الثورة في البلدان المستعمرة.

لا تفهم المعارضة قضية مشاركة الشيوعيين في الكيومينتانغ.

تتخلى المعارضة عن مبادئ التكتيك اللينيني في قضية العلاقة بين الطليعة (الحزب) والمؤخرة (الملايين من الشغيلة).

تقاطع المعارضة قرارات اجتماعي تنفيذية الأمانة الشيوعية، السادس والسابع، الموسعين.

تعرض المعارضة سياستها في القضية الصينية خلسة مؤكدة أنّ الأمور ستجري على نحو أحسن في الصين بتلك السياسة. وليس هنالك حاجة حتى نبرهن على أنّ الحزب الشيوعي الصيني كان سيدفع في طريق مسدود لو اتخذ لنفسه سياسة معادية لللينينية، سياسة المغامرة التي تبشر بها المعارضة. فإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد تطوّر في وقت قصير من مجموعة صغيرة مؤلفة من ألفي منخرط إلى حزب جماهيري يعدّ ستين ألف عضو؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح خلال تلك الفترة في تنظيم قرابة ثلاثة ملايين عامل في النقابات؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح في إنهاض ملايين عديدة من الفلاحين من خمولهم وجذب عشرات الملايين من الفلاحين إلى الاتحادات الفلاحية الثورية؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح، خلال هذه الفترة، في أن يجذب أفواجا وكتائب

بأكملها من الجيوش الوطنية إلى صفه؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح،
خلال هذه الفترة، في تحويل فكرة هيمنة الطبقة العالوية من شعار إلى واقع مكتسب
– فإن ذلك يفسّر، من جملة أمور أخرى، بواقع أنه اتبع الطريق التي رسمها لينين،
الطريق التي أشارت إليها الأمانة الشيوعية.
ولا فائدة من القول أنّ سياسة المعارضة، بأخطائها وتوجهها المعادي للينينية، تكون
تلك نجاحات الثورة تلك إما معدومة وإما مختزلة إلى أقصى حدّ.
ولا يشكّ في ذلك إلا المرتدون من أقصى اليسار والمغامرون ❁

أتمنى
2012